"نحو تسنيم البعد القومي العربي في المناهج الدراسية"

إعداد

أ.د/ حسن سيد شحاته

أستاذ المناهج وطرق التدريس

كلية التربية جامعه عين شمس

عضو اتحاد كتاب مصر

ISSN : 2535- 2032 **print**)

ISSN : 2735-3184 **online**)

العدد ١٤٧مارس ٢٠٢٥م – الجزء الأول

نحو تسنيم البعد القومي العربي في المناهج الدراسية

أ.د حسن سيد شحاته

المقدمة

من بين معالم الحركة الفكرية الراهنة في أدبيات التربية، وفي غيرها من أدبيات التنمية، ما نلحظه من معالجات لقضايا الوطن العربي كمجموعة ثقافية وتكتل اقتصادي في مشرقه ومغربه ويتجلى في تناولها تلك الأدبيات إبراز العروة الوثقى والتشابك بين الجهود الوطنية القطرية من ناحيه وبين العمل المشترك، والتوجهات العربية الإقليمية المتمثل في منظمتها في الجامعة العربية، وفي منظماتها النوعية، ومن بينها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، وهناك إدراك متزايد بأن اقطار الأمة العربية شريكة حياة ومصير في عالم اليوم والغد ومرد ذلك الى الوعي الملح فكريا ووجدانيا بأن الناتج الكلي أكبر من حاصل جمع مفرداته.

وقد كان لظهور تيارات العولمة ومحاولاتها تنميط حياه الامم وقولبتها في صور ونماذج، أن بدأت الجهود في تكوين تكتلات اقليمية دولية بعضها يتهيأ من أجل تأكيد مصالحها الوطنية والإقليمية المشتركة، فضلا عن مسؤولية الحفاظ على مقومات هويتها الثقافية وخصوصيتها الحضارية، ويبدو انه كلما ازدادت الضغوط العولمية وتهديداتها يتنامى الوعي ويحتد بتلك المقومات والسعي الى مقاومة كل ما تهدف اليه العولمة من امركة في المصالح والعقول.

ولعل تقرير لجنة (خافيير دي كويلار) الأمين العام الأسبق للأمم المتحدة بعنوان(التنوع الانساني المبدع)، والذي اصدرته منظمه اليونسكو، يعبر بصوت علمي انساني في موجهة تهميش الثقافات الوطنية الإقليمية، وقد استعار في توجهه مقوله (المهاتما غاندي) وهو يواجه موجات الاستعمار البريطاني حيث يؤكد:(انني على استعداد لأفتح نوافذ بيتي على كل التيارات من حولى، ولكنني أرفض ان ينتزعني اي منها من جذوري)، وتواكب ذلك التقرير بمقوله (شو إن لاى) الذي كان وزيراً لخارجيه الصين حين عبر عن موقف بلاده ايذاء محاولات الزحف الغربي ومنتجاته الثقافية والتكنولوجية في عباراته القصيرة ذات الدلالة البالغة، (ليكن كل ما هو عالمي في خدمه كل ما هو صيني).

وفي عالمنا العربي جرت دراسات وندوات عديده تحلل ظاهرة العولمة وتوجهها لترى ما تنطوي عليه بالنسبة لوقعنا ومستقبلنا، وما فيها من فرص ومخاطر. وتشكل وعي متنام بالمصير المشترك معرفة بالفرص وسعياً لدرء المخاطر.

ولم يكن ثمة تردد من ضرورة الإفادة من الثروات العلمية والتكنولوجية، استيعابا وتوظيفا في التعليم والتعلم والبحث وفي عمليات الانتاج والخدمات، ومن المخاطر الجاسمة للعولمة ما تقتضي الالتفات والحذر والنقد لرسائل ما تبثه الإذاعات الفضائية التي تعج بها حالياً سماوات الكون. هذا مع المواجهة وضرورة التحصين من كل التيارات الصريحة والمستترة التي تسعى لوأد مقومات تماسكنا وترابطنا الاجتماع والثقافي.

ومنذ الاحداث التي جرت في الولايات المتحدة والمعروفة بأحداث ١١ سبتمبر، تزداد الهجمة على وطننا العربي، متهمة نظم تعليمية بأنها مصدر للإرهاب وانها بيئات تولد نوازع العنف والاعتداء على الغير، ويشهد على ذلك ما بدأت تمارسه من ضغوط وتهديدات وصلت الى العمل العسكري. هذا الى جانب اصدار التقارير والاشارات لتغيير مناهجنا التعليمية، خاصه مناهج الدين الاسلامي واللغة العربية والتاريخ.

ولعل ما اشارت اليه من تنامي الأدبيات والندوات الخاصة بالنظر الى التعليم على مستوى الوطن العربي، انما يمثل رد فعل لما افرزته توجهات العولمة وممارستها.

كذلك توجب تقديم رؤى مستقبلية للتطوير تقتضيها تحديات القرن الحادي والعشرين ليسهم التعليم بفاعلية وكفاءة في تحقيق التنمية المستدامة في جسم الواقع العربي. ويتخذ في هذا السبيل الاستناد الى تقييم خبراتنا ومدى الإفادة من النظريات والممارسات العالمية المتجددة.

وفي هذا السياق تأتي منطلقات اساسية لمعالجاته حيث تواجه التجديد التربوي وتنمية الطاقات البشرية الكامنة والمهدرة والمهمشة وتوسيع وترسيخ وتطوير مقومات الثقافة الوطنية والقومية المشتركة، والتفاعل في ايجابيه ناقده ومتعلمه من الحضارات الغربية حتى نتقصى الأساليب التي استثمرتها في انجاز ما حققته، نكتسب منها معارف ومناهج جديدة لا حلولا جاهزة. ويصبح التفاعل

مع الحضارة الغربية من منطلق الحرية في تقرير المصير حيث نصنع مستقبلنا بأيدينا لا أن تصنع لنا مسيرتنا ومصيرنا.

وهكذا يؤكد موقفنا في تناول استراتيجيه تطوير التعليم العربي الذي ندركه ونحيطه بتشخيص اوضاعه وأن العولمة بما لها وما عليها وفي اختزالها للزمان، لم تلغي المكان والجغرافيا وما تراكم فيها من تراث وخبرات محليه ووطنيه وقوميه وحضارات لها خصوصيتها التي قد تتصارع مع رسائل الاتصال الكونية المتجددة ابدا .

وفي كثير من الحالات قد نقسوا على واقعنا واحواله وبطء ما جرى فيه من تقدم، لكن ذلك من قبيل ما عبر عنه نزار القباني "ولقد تضيق بكحلها الأهداب"، كذلك قد نجد في كتاباتنا استغراقاً في التفاؤل والامكانات وذلك دليل على مدى ما نأمله من نظامنا التعليمى لتحقيق منجزاته وبلوغ غاياته. لكن التعليم وتطويره المتصل انما يستمد منابعه وروافده من تطوير لبعض البنى المجتمعية، وما يترتب عليها من سياسات وما يوفر من موارد وامكانيات للسياسات الاجتماعية.

واذ نعود الى مناهجنا العربية نلحظ اهتماما الى جانب النظرة الكلية في قضايا التعليم ببعض المفاصل المحددة المهمة ذات التأثير الفاعل في حركة تطوير المناهج الدراسية، منها على سبيل المثال المشكلات السكانية والتربية البيئية، كما ركزت على قضايا الحوار والابداع والذكاوات المتعددة وأفكار المدرسة المنتجة، وتطوير مؤسسه اعداد المعلم ونظم التقويم والجودة الشاملة، كما لم نغفل موقع الجامعة من المنظومة التعليمية دورا ورسالة ومؤسسة ومسؤولية وحرية.

إن هذا الجهد العلمي يعالج قضايا التعليم على مستوى الوطن العربي، وما أشد حاجتنا في هذه الأيام بل ودوماً الى تأكيد البعد القومي العربي في دراساتنا وأبحاثنا وتعليمنا، وهو بعد يتعرض للمد والجزر وعلينا أن نوفر له من الفكر والفعل والطاقة والالتزام مما يجعل محيطه في حاله مد متواصلة، وما تزال معارك هذا البعد اساس ثرواتنا البشرية، ولا ينبغي ان يكون من يجري لها بين الحين والاخر من سياسات الانكماش او الانكسار، عائقا دون مواصلة الجهد والنضال من أجل ترسيخ الوعي بأن التماسك المجتمعى والتعاون العربي في جميع المجالات، وفي الصدارة منها، تعليم المستقبل العربي وهو اولاً واخيراً قضية حياه ومصير.

وهنا يجب الا نغفل تأثير التكنولوجيا على الحضارة والثقافة والقيم الإنسانية وعلاقه الانسان بالكوكب الذي يعيش فيه بل على علاقه الانسان بأفراد أسرته وبأصدقائه وزملائه وكذلك علاقته بالقيم السوية ومن الضروري ألا نتمسك بمفاهيم تؤدي بنا الى الانحسار والى خلق حواجز وسجون فكرية، إن العالم يتحرك من حولنا وعلينا ان نكسر القيود التي تحيط بنا فكريا وأن نتخطى المحددات التي نعيش فيها، فإنه من المحتمل ان تكون محدداتنا وخوفنا هو أساس عدم الانطلاق الى أفاق أرحب .

إن التعليم هو أهم وسيله لبناء الشعوب ومواجهة متغيرات وتحديات المستقبل، كما أنه هو البداية الحقيقية للتقدم وأن جميع الدول التي تقدمت جاء تقدمها ونهضتها من بوابه التعليم، بل ان الدول المتقدمة نفسها تضع التعليم في أولويه برامجها وسياساتها. والقضية هي كيف نصوغ العملية التعليمية شاملة لكي يكون المتعلم مواكبا لهذه التطورات قادرا على التعامل مع كل هذه المتغيرات من خلال فلسفة متوازنة للتعليم بمعنى ان يكون الهدف الاساسي للتعليم تكوين انسان يستطيع ان يتعامل مع كل هذه المستجدات ومعطيات التغيير، وأن ينتقل من التعليم كمرحله الى التعليم مدى الحياه ،وان تكون اولى مهام التعليم أن يعد بشراً قادراً على التعامل والتفكير المستنير والابتكار، مع التركيز على غرس قيمة الحوار وغرس الثقة بالنفس والثقة في المستقبل وتنميتها، وان تنطلق طموحاتنا بلا حدود لنعبر الفجوة الحضرية .

إن لكل زمان أفكاره وفلسفته، ولا يمكن ان نعيش" زمنا جديدا" بأفكار قديمة ولا يمكن أن ندخل الى مجتمع جديد بلغة لا يعرفها هذا المجتمع، فإن كمية المعلومات والمعرفة التي يمتلكها البشر تتضاعف الان كل ١٨ شهر. إن التقدم العلمى والابتكار أساسه رفض الأمر الواقع ونقد الأفكار القائمة ولابد ان يعكس نظامنا التعليمي القومى هذا التغيير الجذري في مفاهيم التعليم والتعلم. إن التعليم بصفه عامه والتعليم العالي والجامعي بوجه خاص هو استثمار أصيل يشكل القاعدة لكل استثمار اخر وهو بؤره الاهتمام لدى جميع الدول سواء المتقدمة او النامية وليس امامنا من بديل سوى قبول تحديات القرن الواحد والعشرين ومحاوله التنبؤ بالتحديات المستقبلية وإتخاذ الخطوات اللازمة للتصدي لها قبل حدوثها وهناك تحديات داخليه ترتبط بالتفاعلات الداخلية للمجتمع وهناك اخرى خارجيه يفرضها الواقع الدولى.

ومن هذه التحديات قدرة الدول العربية على مواجهه الطلب المتزايد على التعليم ككل وتكوين الخريج الملائم لمقتضيات العصر، كما برزت حاجة الفرد والمجتمع إلى قدرات ضرورية تتسق مع طبيعة العصر وكذلك احداث التوازن بين وظائف جديده وفقا لظروف المجتمع والبيئة وإحداث التوازن بين متغيرات الكم والكيف وتحديث نظم التعليم وتنوع أنماطه او التكيف مع المتغيرات العلمية والتكنولوجية المتسارعة والتخصصات المستحدثة ومع طبيعة المهن والمهارات، حيث تختفي كثير منها وتولد اخرى جديده تناسب المرحلة الجديدة للتطور، ومن هذه التحديات الداخلية والخارجية تشكل مجموعه مرتبطة ببعضها ارتباطا وثيقا حيث إن قضايا التعليم ترتبط ارتباطا وثيقا ببعضها وتهدف أساسا للتنمية الشاملة للإنسان.

ان اصلاح التعليم العربي لا يتم دون اصلاح وتطوير وتجديد في التعليم ودون اصلاح في نواحي الحياة الأخرى، وتجديد التعليم لا يتحقق دون تجديد في كافه مناحي الحياه .فالإصلاح كل لا يتجزأ والتعليم بشكل عام يجب ان يعمل على خلق مجتمع مثقف ويرتبط ارتباطا وثيقاً بمجموعه من القيم وبنظام تعليمي يتيح لكل أعضائه توسيع مداركهم إلى أقصى درجة منذ الطفولة المبكرة إلى مرحلة الشباب وحتى آخر العمر، بحيث يستمر الفرد في التعليم المستمر لمواكبه التغيرات التي تحدث من حوله.

إن الرؤية القومية التي يتبناها تطوير التعليم تدعونا الى رسم صورة للنسق التعليمي المستقبلي عن طريق تقديم عناصر حاكمه في هذا النسق مع تدعيم عناصر القوة المحتملة فيه، آخذين في الاعتبار أن هذه العناصر لا تصنع التطور المنشود، اذ يلزم لذلك شروط تعليمية ومجتمعيه اخرى مواتيه كما أنها وبالدرجة نفسها ليست شعارات نرفعها او أغراض طوباوية ننشدها، بل هي تفعيل وتجديد للواقع التعليمي المعيش في إطاره المستقبلى المتجدد دائما في مسيرته التنموية المتسارعة، التي تحاول ان تضع التعليم في اطاره الدولي المقارن لتصنيع وهندسه انسان قادر على المشاركة والمنافسة انسان ذي هويه قوميه في منطقه بتياراتها المتلاطمة المتصادمة ذات النسق القيمى المقلوب والعدالة المفقودة التي يفرضها كل من يمتلكون القوه والتفوق العلمي والتكنولوجي والتقدم الاقتصادي.

ان حاجه مجتمعنا العربي القومي شديدة الى تجديد يحتضن مسيرة تطوير التعليم الذي يراعي تجديد القيم التي يسعى التعليم الى بثها وتمثل نماذج مجتمعية متطورة، والسعي الدؤوب نحو تقديم غايات وسياسات واليات تدور حول مفهومات التحديث لا حول مفهومات التغريب او الانغلاق واطراد التنمية واستزراع التقنية المتقدمة الملائمة ومواجه ضعف الكفاءة في الإدارة وانتقاء قيادات التعليم من اهل الخبرة والكفاءة والمعنيين بالشأن العام المشاركين في مسيره تطوير التعليم عن وعي وقناعه، وإتخاذ سياسات فعالة في رعاية الموهوبين والمعوقين واتخاذ صيغه للتفاعل الايجابي مع العولمة وخوض غمار المنافسة واقتحام الاسواق الخارجية وتحقيق المزيد من الحريات باعتبارها من أهم القوى الدافعة للنهضة العلمية والتكنولوجية، واستمرار سيطرة الدولة على توجيه التعليم بغيه انتاج نخبه متميزة من المتعلمين وتطوير منظومه العلم والتكنولوجيا وزياده المكون العلمي في اسلوب اتخاذ القرار بحيث تعطي الأولوية للانضباط والجدية والكفاءة.

وفي هذا المقام نؤكد جهود متوالية يشاهدها التعليم على المستوى القومي في العقد الحالي تشير الى انجازات حقيقيه نقلت التعليم الى الألفية الثالثة لعل من أهمها توفير فرص التعليم لكل مواطن وتقليل الكثافة في الفصول مزارع الفكر البشري، واعاده اليوم الدراسي الكامل في كثير من المدارس، وادخال التكنولوجيا الى المؤسسات التعليم واستخدام شبكات الاتصال عن بعد لتدريب المعلمين، وانتاج بعض البرمجيات والوسائط التعليمية والتوسع في التعليم الجامعي يتناغم مع متطلبات المستقبل والاهتمام بتقديم المجالات المعرفية المعاصرة والتي لها مضامين مستقبليه تنسجم والتطور العلمي والمجتمعي، ومحاوله ربط التعليم الصناعي بالمؤسسات الإنتاجية ورعاية الأنشطة الطلابية وتدعيمها، وتطوير المناهج عن طريق الرؤى العالمية والمؤتمرات القومية والمشاركات المجتمعية والسير في طريق المكونات التشريعية التي تأخذ باللامركزية واستقلاليه الجامعات والاخذ بمفهوم التدريب المستمر والحركة النشطة داخل اطار يؤكد حرية البحث العلمي، ووضع اطار قانوني يقدم نظاما مقبولا لإدارة العمل في مؤسسات التعليم، ويوصف أدوار ومسؤوليات وكفاءه المعلم، وانشاء بنى مؤسسيه لرعاية المعوقين والفائقين واستثماراً لطاقات الانسان وتوظيفها لخدمة التنمية وفتح النوافذ للاحتكاك بثقافات وخبرات اجنبية وقيام مراكز بحثيه وجامعية بأدوار تنموية استثمارية واستخدام القنوات الفضائية في التعليم على كافه مستوياته وتوسيع فرص التعليم المفتوح ونشر الثقافة العلمية من خلال المراكز والمتاحف والمدن العلمية والتوسع في إنشاء رياض الاطفال.

وكلها جهود وطنية مقدرة تتطلب المزيد من المشاركات الفكرية والمادية من قبل المهمومين بالتعليم ورجال الاعمال والمؤسسات الإنتاجية والجمعيات المدنية من أجل إحداث مزيد من التحديث والتطوير بعيدا عن جماعات الضغط الاجتماعي واصحاب المصالح الفئوية والمصالح الخاصة وحتى نتخلى عن تخريج انصاف متعلمين من مؤسستنا التعليمية، بل نخرج متعلمين متميزين يمتلكون القدره على استخدام عقولهم بجرأة واقتدار.

ان تجديد التعليم القومي في سياق تجديد المجتمع يتطلب الحوار الجاد المتواصل في إطار المصلحة العامة على مختلف المستويات: الاكاديميين من الجامعيين والاقتصاديين والسياسيين والتربويين ممارسين ومنظرين والنقابيين وأعضاء السلطة التشريعية والجمعيات الأهلية والاندية الاجتماعية والاعلاميين والكتاب والمفكرين وصولا الى البدائل والاليات المؤدية الى التجديد بمختلف درجاته وانواعه.

قائمة المراجع

١. بلنـدنجر، جـاك وآخـرون: الانضـباط الفصـلى عـن طريـق كسـب الطـلاب واحترامهم(ترجمـة بشـير العيسوى)، الرياض، دار المعرفة للتنمية البشرية، ٢٠٠٩م.

٢. بهـاء الـدين، حسـين كامـل: الوطنيـة فـي عـالم بلاهويـة تحـديات العولمـة، القـاهرة، دار المعـارف، ٢٠٠٠م.

٣. بيوشـامب، ادورد: التعلـيم اليابـاني والتعلـيم الامريكـى دراسـة مقارنة،(ترجمـة محمـد طـه علـى)، الريـاض، دار المعرفة للتنمية البشرية، ٢٠٠٩م.

٤. حسـان ، حسـان محمـد: نحـو أهـداف سـلوكية للـتعلم الجـامعى العربـى، القـاهرة، دار الثقافـة للطباعـة والنشر، ٢٠٠٤م.

٥. خضـر، محسـن: تطـوير سياسـيات التعلـيم والعمـل والتـدريب العربيـة فـي ضـوء معطيـات الثـورة العلميـة والتقنية المعاصرة، القاهرة، مجلة كلية التربية، جامعة عين شمس.

٦. دعـدور، السـيد محمـد: المـنهج الدراسـى وبنـاء الانسـان العربـى، المنصـورة، المكتبـة العصـرية للنشـر والتوزيع، ٢٠٠٢م.

٧. السـيد، محمـود أحمـد: مشـكلات النظـام التعلـيم العربـى، دمشـق المركـز العربـى للدراسـات الاسـتراتيجية، قضايا راهنة، ٢٠٢٠م.

٨. ـــــــــــــ: الآفاق المستقبلية لتطوير التربية العربية، دمشق كلية التربية، ٢٠٢١م.

٩. علـى، نبيـل: الثقافـة العربيـة وعصـر المعلومـات، رؤيـة لمسـتقبل الخطـاب الثقـافي العربـى، الكويـت، عـالم المعرفة، ٢٠٠٠م.

١٠. عمـار، حامـد: التنميـة البشـرية فـي الـوطن العربـى، الإحصـاءات والوثـائق، القـاهرة، سـينا للنشـر، ٢٠١٣م.

١١. ـــــــــــــ:مواجهة العولمة في التعليم الثقافي، القاهرة، مكتبة الدار العربية للكتاب، ٢٠٠٠م.

١٢. لجنـة التعلـيم قبـل المرحلـة الجامعيـة: تعلـيم المـواطن الأمريكـي مـن أجـل المسـتقبل، مقتضـيات القـرن الحادى والعشرين، الرياض، مكتب التربية لدول الخليج، ٢٠١٥.

١٣. مينا، فايز مراد: التعليم في مصر، الوقع والمستقبل، القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية، ٢٠٠١م.